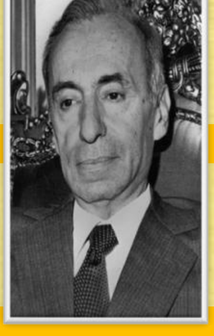
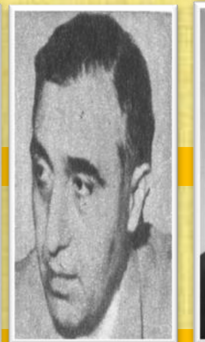






رجال من جيل

التأسيس والولادة

الرفيق الدكتور

سعدون حمادي

الشاهد والشهيد

الطليعة العربية في تونس

منشورات الطليعة

عن الشهيد الدكتور سعدون حمادي سألني سائل فأجبت

بقلم

عز الدين بن حسين القوطالي

في إحدى المقاهي الشعبية بالقطر التونسي أين يلتقي الأصدقاء وزملاء الصف في الدراسة والمهتمين بالشأن الثقافي والسياسي يحلو الجلوس أمام شاشة التلفزيون لمتابعة مستجدات الأخبار العربية والعالمية لتكون منطلقا لحديث ذو شجون في وضع الأمة ومستقبلها وحوار متبادل حول القضايا المصيرية التي تؤرق الوطن والمواطن في البلاد العربية ونقاش هادف من أجل الوصول إلى حقيقة الأنباء المتواترة في كل لحظة والمتهاطلة علينا كالمطر المنهمر من كل حدب وصوب والتي تصل في بعض الأحيان إلى حد التناقض مما يساهم في إثراء الحوار وتعميقه وإعادة ترتيب وتحيين المعلومات المتوفرة.

وقد كان إعلان وفاة الدكتور سعدون حمادي مناسبة لطرح أسئلة متعددة حول شخصية هذا الرجل ودوره في بناء العراق الحديث قبل ثورة 17/30 تموز 1968 وبعدها وإسهامه في ترسيخ مبادئ الثورة العربية وما اضطلع به من مهام ثورية تقدمية ومسؤوليات جسام تحمل أعباءها بكل وثوق واقتدار ونجح في إنجازها نجاحا يشهد له به العدو قبل الصديق.

وفي هذا الإطار سألني أحد الأصدقاء قائلا: ما الذي يميز هذا الشخص عن بقية العراقيين والغالبية العظمى من أبناء شعبنا العربي حتى يلقى هذا الاهتمام عندك ويشكل محورا للنقاش وقد توفّي قبل ذلك مئات من المثقفين والسياسيين والقادة ولم تولهم نفس الاهتمام؟؟؟ فأجبت بكل حسرة ولوعة وأسى: ليته كان مثلهم لهان أمره وتيسّر عزاؤه ولكنه يمثّل نوعا خاصا وفريدا من مثقفي وقادة هذه الأمة وهذا ما جعله يرتقي أعلى مراتب الشرف حين ولد وحين مات وحين يبعث حيا.

فسعدون حمادي يمثّل ذلك الجيل العربي الذي حمل منذ نعومة أظافره لواء الوحدة والحرية والاشتراكية وآمن بقدرات الشعب العربي المختزنة في ذاته وناضل من أجل رفع راية العروبة والإسلام في مختلف الأقطار العربية وكابد مع ثلة من رفاق دربه من أجل إعلاء كلمة الحق في زمن الباطل وتحمّل مشاق ومخاطر العمل السري في العهدين الملكي أيام لنوري السعيد والجمهوري أيام عبد الكريم قاسم والأخوين عبد السلام وعبد الرحمان عارف وأفنى حياته في سبيل بناء عراق حرّ مستقلّ قويّ متقدّم يشكّل نموذجا لحيوية هذه الأمة وقدرتها على النهوض في أشدّ الظروف وأخطر التحديات.

ولعلّنا لا نضيف أي جديد حين نقول إن الدكتور سعدون حمادي كان من أوّل الحاملين للواء البعث العربي الاشتراكي في العراق إذ كان له شرف التبشير بأفكار وأطروحات حزب البعث وبناء أوّل خلية حزبية بمدينة كربلاء صحبة المناضل

التونسي أبو القاسم محمد كرّو الذي درس بالقطر العراقي في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات من القرن المنصرم وقد نجح الدكتور سعدون حمادي بظرف وجيز في بناء التنظيم الحزبي وسط بيئة دينية بحتة إذ تمكّن من تجاوز حالة الانغلاق التي كانت تميّز الوسط الشيعي في كربلاء والتحرر من " الغيتو" الذي فرض على أبناء المدينة وجعلهم مكبّلين بأغلال الطائفة والمذهب ومنعهم من الانخراط في العمل السياسي والوطني فكان الدكتور سعدون حمادي المنحدر من عائلة شيعية عريقة أوّل المنتفضين على حالة الركود والخمول التي فرضتها المرجعية الدينية تحت غطاء تعطيل باب الجهاد حتى ظهور الإمام الغائب وهذا ما يفسّر الموقف الصارم والحازم الذي إتخذه الشهيد الدكتور سعدون حمادي من الطائفية والتمذهب منذ بداية انخراطه في العمل السياسي والى تاريخ وفاته منفيّا بعيدا عن الوطن وفي هذا الإطار يقول الحاج علي القيسي رئيس جمعية ضحايا سجون الاحتلال الأمريكي في مقالة بعنوان –ذكرياتي في الأسر مع الشهيد الدكتور سعدون حمادي– منشورة بموقع شبكة البصرة وكان الحاج علي القيسي رفيق درب الشهيد في معتقل الفيجي لاند الأمريكي: ((إن أكثر ما أعجبني فيه الابتعاد عن النظرة الطائفية والعرقية حيث قال لي رحمه الله : كنت أرأس لجنة ثقافية تتابع الكتب التي تدخل أو تطبع في العراق وكان حرصنا في هذه اللجنة منع كل ما يثير النعرة الطائفية أو العرقية فلو كان الكتاب من عدة مجلدات ووجدت به جملة تدعو للطائفية أو التعصب العرقي يرفض كلّ المجلّد.((...

ذلك هو الشهيد الدكتور سعدون حمادي الذي نشأ في وسط ديني سرعان ما انتقده وانتفض عليه وسعى من أجل تغييره من خلال التأكيد على أن الطائفية مرض خطير ينخر جسم الأمة وورم سرطاني لا شفاء منه ويجب استئصاله وأن التقوقع داخل "الغيتو" الشيعي هو حالة انهزامية ورضاء بالأمر الواقع واستسلام للقدر لا مبرر له ولذلك أراد رحمه الله أن ينتقل إلى أفق أرحب وأوسع بعيدا عن السجن الانفرادي الطائفي حيث تكون مصلحة الأمة فوق مصلحة الطائفة ومستقبل الوطن قبل مستقبل المذهب ولقد كان سفره إلى القطر اللبناني سنة 1952 مناسبة لمتابعة دراسته العليا في الجامعة الأمريكية ببيروت أين تحصّل على درجة الماجستير في العلوم الاقتصادية وتمكّن من الاحتكاك بثلّة من الشباب العربي من مختلف الأقطار مما ساهم في بلورة موقفه القومي التقدمي وترسيخ مبادئه وقناعاته وعقيدته في ضرورة وحتمية الوحدة العربية لمواجهة الهجمة الصهيونية والتآمر الإمبريالي على الوطن العربي وكانت بيروت في تلك المرحلة ملتقى للمثقفين العرب وقلعة للفكر العربي الحر ومنارة للعلم ومحضنة للحركات والأحزاب القومية التقدمية ففيها نشأت حركة القوميين العرب ومنها إنتشرت أطروحات وأفكار ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار وقسطنطين زريق وأكرم الحوراني وأنطوان سعادة وخالد بكداش وغيرهم نتيجة لازدهار حركة الطباعة والنشر.

وبعد حصوله على الدكتوراه في الاقتصاد الزراعي من جامعة وسكونسن الأمريكية سنة 1956 عاد الشهيد الدكتور سعدون حمادي إلى العراق ليتابع نشاطه الحزبي والوطني إذ أسّس أوّل لجنة ثقافية في حزب البعث قبل ثورة تموز 1958 إيمانا منه رحمه الله بضرورة تحقيق ثورة ثقافية شاملة في الوطن العربي عبر نشر المفاهيم الثورية ومحاربة التخلف الفكري والانحطاط الثقافي ولقد بذل الشهيد حمادي من وقته وجهده وماله الكثير ليصبح حزب البعث في ظرف وجيز أحد أهمّ الحركات والتنظيمات الحزبية في العراق الحديث ولعلّنا لا نبالغ حين نقول إن بذرة البعث العربي الاشتراكي في العراق لم تكن لتنمو وتترعرع لولا جهد ومثابرة الشهيد الدكتور سعدون حمادي الذي كتب عليه النضال والملاحقة

الأمنية كما كتب على الذين من قبله إذ سرعان ما تقع ملاحقته من طرف حكومة عبد الكريم قاسم بعد ثورة تموز 1958 ليستقرّ به المقام من جديد في المنفى بالقطر الليبي وبما أن الرجل مجبول على الحركة والفعل والنضال فإنه لم يستسلم للخمول والقعود عن ممارسة واجبه القومي التقدمي إذ ساهم مع ثلة من الشباب العربي الليبي في تأسيس منظمة حزب البعث هناك مما دفع بالحكم الملكي السنوسي إلى اعتقاله بتهمة التخطيط للقيام بحركة انقلابية ومحاكمته بالسجن لمدة ثلاث سنوات قضاها كاملة دون نقصان وبعد إطلاق سراحه ألتحق رحمه الله بالقطر السوري أين ساهم مع رفاق دربه في إثراء تجربة الحكم الثوري هناك عير العمل داخل مؤسسات الحزب الثقافية كما تولى إعادة تنظيم صفوف الحزب في العراق وقيادة العمل الحزبي بوصفه عضوا لقيادة قطر العراق للحزب ضدّ حكم عبد الكريم قاسم وقد تمكّن من إسقاط الحكم الديكتاتوري في شهر رمضان سنة 1963 ليعين وزيرا للإصلاح الزراعي ولكن بعد بضعة أشهر فقط يعود من جديد إلى المنفى على إثر انقلاب 1963/11/18 ليستقرّ في القطر السوري ويزاول نشاطه السياسي والحزبي مستفيدا من جملة النكسات والتجارب السابقة في الحكم ومستلهما العبر من الأخطاء التي وقع فيها الحزب محاولا تداركها وتجاوزها وعدم تكرارها ولهذا عقد العزم صحبة القيادة على استرداد زمام المبادرة من خلال تفجير ثورة 17/30 تموز 1968 وإرساء دولة البعث العربي الاشتراكي في العراق لتفتح صفحة جديدة من النضال الإيجابي والجهاد الأكبر في سبيل التنمية والبناء والرخاء لجماهير شعبنا العربي في بلاد الرافدين ولقد حرص الشهيد الدكتور سعدون حمادي منذ الوهلة الأولى على تحقيق أهداف الثورة المتمثلة في استعادة السيطرة على ثروات البلد من خلال تأميم النفط العراقي وطرد شركات الاحتكار العالمية وتطوير الصناعة الثقيلة والاهتمام بالتنمية الزراعية فترك بصمته في كلّ مسؤولية شغلها بداية من شركة نفط العراق مرورا بوزارتي النفط والخارجية وصولا إلى رئاسة المجلس الوطني العراقي فكان بحقّ صوت الشعب الذي لا يخفت أبدا وذلك هو حال المثقف الثوري في كلّ زمان ومكان يستثمر فكره الوقاد ومبادئه الخالدة لخدمة الأمة ويوظف قناعاته وعقيدته لتحقيق آمال وطموحات الشعب وكما يقول الكاتب شاكر الجوهري في الحقائق اللندنية 2007/03/16: رحم الله الدكتور سعدون حمادي فمثله يتوجب الترحم عليه بمقدار ما خدم وطنه العراق وأمته العربية وابتعد عن الطائفية والمذهبية المقيتة فلم يكن حمادي سياسيا فقط لكنه كان مفكرا قوميا كبيرا قبل أن يكون سياسيا وقد وظف فكره الوقاد في خدمة ورسم سياسات قومية حكيمة...

فمسؤوليات العمل الرسمي في أجهزة الدولة لم تقف حائلا دون ممارسة الشهيد الدكتور سعدون حمادي لنشاطه الفكري والعقائدي والثقافي عير تأليفه لمجموعة من الكتب العقائدية والسياسية كان آخرها كتاب – مشروع الوحدة العربية ما العمل؟ – وتشجيعه لمؤسسات الفكر والثقافة في الوطن العربي إذ أسهم سنة 1976 في تأسيس مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت وتولى رئاسة مجلس أمنائه سنة 1991 وليس بخاف على القارئ الكريم الدور الطلائعي الذي لعبه المركز في إثراء الثقافة العربية وتنميتها وتطويرها والجهد الضخم الذي بذله ولا زال في التبشير بالوحدة العربية والعمل من أجل تحقيقها والفضل كلّه يرجع للحقيقة والتاريخ إلى الشهيد الدكتور سعدون حمادي بشهادة من ساهم في بعث المركز كرفيق دربه الدكتور خير الدين حسيب والدكتور بشير الداعوق ويوسف الصايغ وغيرهم.

ورغم كبر سنّه وتقدّمه في العمر (79) سنة وأسره من قبل قوات الغزو الأمريكية لمدّة تسعة أشهر كاملة بدون رعاية صحية وفي ظلّ ظروف الاحتجاز القاسية فإنه لم يتراجع قيد أنملة عن المبادئ التي آمن بها وناضل من أجلها ورفض كلّ الإغراءات التي قدّمت له لقاء مشاركته في ما يسمى بالعملية السياسية وإسهامه في حكومة الذلّ والعار بقيادة العميل نوري المالكي وفضّل العيش بعيدا عن الوطن على أن يبيع العراق للغزاة المحتلين وكما عاش الشهيد الدكتور سعدون حمادي النفي والاغتراب والملاحقة والبعد الجبري عن الوطن والأهل والأصدقاء في أغلب مراحل حياته السياسية والنضالية فقد أكمل حياته بعيدا عن بلاد الرافدين وقلبه يخفق حسرة على ما آل إليه العراق في ظلّ الاحتلال وما فرّط فيه العراقيون من شرف وكرامة ووحدة وانسجام داعيا من جديد أبناء شعبه إلى الوحدة والتماسك من خلال وصيته التي خاطب بها أبناءه قائلا: أوصيكم أن يكون مدفني في مدينة كربلاء وأن يرسم على وجه الضريح خارطة الوطن العربي بحدودها الخارجية وأن يكتب على الضريح بالعربية الواضحة: أيها المواطنون عليكم بوطنكم العربي وحدوده في دولة قوية تقدمية فليس غير الوحدة العربية ما يحقق لكم الأمن والنهضة والتقدم وهي لا بدّ متحققة بإذن اللّه وجهادكم...

ملاحظة: عنوان المقال مستلهم من عنوان أحد مؤلفات الشهيد الدكتور سعدون حمادي وهو كتاب: عن القومية والوحدة العربية (سألني سائل فأجبت) الصادر سنة 2000 عن مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت.

وداعا سعدون حمادي

الدكتور خير الدين حسيب

رئيس مجلس أمناء ومدير عام مركز دراسات الوحدة العربية

المناضل الدكتور سعدون حمادي في ذمة اللّه انتقل إلى رحمة اللّه مساء يوم الجمعة 16 آذار/مارس، المناضل والمفكر القومي الأستاذ الدكتور سعدون حمادي عضو مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية وأحد أهم مؤسسيه؛ ورئيس الوزراء الأسبق، ورئيس المجلس الوطني في جمهورية العراق؛ إضافة إلى توليه مناصب وزارية عدة طيلة عمله في العراق. وهو من أبرز الكفاءات الوطنية في ميادين السياسة والاقتصاد والنفط. وقد نعى مجلس أمناء مركز دراسات لوحدة العربية إلى جماهير الأمة العربية وكل المناضلين التقدميين العرب وحملة راية الحرية والعدالة في العالم، عضواً مؤسساً للمركز ورئيساً لمجلس أمنائه منذ عام 1976 حتى عام 1991 ومناضلاً ومفكراً قومياً ثابتاً على قيمه ومبادئه، ومضحياً في سبيل آمالها المنشودة؛ فإنه سيتذكر المناقب الأخلاقية والفكرية والعلمية السامية للراحل الفقيد وإسهاماته في ميادين البحث والتأليف، وما قدمه للمكتبة العربية من إسهامات جادة ورصينة في مختلف الميادين، وبشكل خاص في ميدان قضية الوحدة العربية التي كان يؤمن بها إيماناً عميقاً وراسخاً، مناضلاً من دون هوادة في سبيلها. وفي حياته كان موضوع الوحدة

شاغلاً وهمّا من أجل نيل مبتغاها، وقد أوصى "رحمة اللّه" في وصيته لأولاده: "ان يرسم على وجه الضريح [ضريحه] خارطة الوطن العربي بحدودها الخارجية وان يُكتب على الضريح بالعربية الواضحة: ايها المواطنون: عليكم بوطنكم العربي وحدوده في دولة قوية تقدمية فليس غير الوحدة العربية ما يحقق لكم الأمن والنهضة والتقدم، وهي لا بد متحققه بإذن اللّه وجهادكم" وسيبقى الراحل المفكر الدكتور سعدون حمادي خالداً في ضمير أهله وأصدقائه وشعبه. وستبقى قضية الوحدة العربية وتحرير الأمة وتقدمها، مشعلاً دائم التوقد للأجيال القادمة وفاءً لذكرى مناضل أمضى عمره في سبيل إيمانه الصادق بقضايا أمته ورسالتها الإنسانية الخالدة. ومركز دراسات الوحدة العربية الذي عرف المفكر الراحل الدكتور سعدون حمادي حاملاً لرايته الأولى منذ تأسيسه، ورفيقاً لمسيرته في مختلف ميادين العمل والإبداع، ومساهماً في كل أنشطته وأعماله، سوف يحرص على الوفاء لذكرى الراحل في إنجاز/إصدار مجموعة أعماله الفكرية الكاملة، والتي تلخص تاريخ وقضية أمة. رحم اللّه فقيدنا الكبير وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وأصدقاؤه وشعبه الصبر والسلوان وإنا للّه وإنا إليه راجعون.

شهادة صادقة على عروبة العراق ووحدته

بقلم: معن بشور

أوصيكم أن يكون مدفني في مدينة كربلاء في المدفن الخاص بنا بجانب المرحومة والدتكم وبحجم ضريحها وان يرسم على وجه الضريح خارطة الوطن العربي بحدودها الخارجية وان يكتب على الضريح بالعربية الواضحة: (أيها المواطنون: عليكم بوطنكم العربي وحدوده في دولة قوية تقدمية فليس غير الوحدة العربية ما يحقق لكم الأمن والنهضة والتقدم، وهي لا بد متحققة بإذن اللّه وجهادكم

بهذه الكلمات خاطب الدكتور سعدون حمادي أولاده (محمد أسامة، وائل، سهيل، مازن، غسان) في وصيته التي كتبها بخط يده وأودعها صديق العمر د. خير الدين حسيب، وهو يحضّر نفسه للرحيل النهائي بعد أن نهشه المرض العضال ولم تستطع مستشفيات ألمانيا أن تحاصره وتمنع انتشاره، وكأنه بهذه الكلمات يريد أن يبقى ضريحه شاهداً على دعوته المستمرة من اجل الوحدة العربية التي افنى عمره نضالاً وبحثاً وفكراً في سبيلها، خصوصاً انه أوصى أيضا بان يحوّل كل جني عمره (26الف دولار أمريكي) ليكون وقفاً للوحدة العربية تخصص عائداتها (ألف دولار سنويا) لعمل من اجل الوحدة ..كم كانت ثروته صغيرة، وكم كان الرجل كبيراً.

لقد استقبلت بيروت سعدون حمادي مرات ثلاث، أولها في أوائل الخمسينات حين أتاها في بعثة جامعية حكومية من مسقط رأسه في كربلاء ليدرس الاقتصاد في الجامعة الأمريكية، ولكي يؤسس مع الطبيب المتخرج حديثاً من دمشق الدكتور علي جابر، وأستاذ الأدب العربي في الليسه الإنجيلية الوطنية إنعام الجندي الخلايا الأولى لحزب البعث الذي تدرج في صفوفه بعض من عرفهم لبنان فيما بعد مناضلين ومفكرين وكتاباً، وزراء ونوابا ومديرين عاماً وبشكل خاص عرفهم شهداء أبطال في ميادين الكفاح الشعبي والمقاومة الوطنية.

المرة الثانية التي استقبلت فيها العاصمة اللبنانية سعدون حمّادي كانت في أوائل الستينات حين أتاها بعد أن سجن في ليبيا السنوسية لعمله على تأسيس تنظيم للبعث هناك، وحين استحالت عليه العودة إلى بغداد آنذاك بسبب الملاحقات الدموية القاسية التي كانت تشمل أبناء التيار القومي العربي من بعثيين وقوميين عرب في عهد الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم.

ويروي صديقه الصحافي اللبناني الكبير الراحل ميشيل أبو جوده في إحدى افتتاحياته التي كان لها صدى في الوطن العربي الكبير من المحيط إلى الخليج: أن سعدون حمادي قد غادر بيروت عشية سقوط نظام قاسم وقد جهز نفسه لدخول السجن، بارتدائه البيجاما تحت ملابسه مدركاً انه سيساق من المطار إلى السجن الذي لم يبق فيه طويلا بسبب الإطاحة بالنظام كله.

أما المرة الثالثة التي استقبلته فيها بيروت فكان في خريف عام 2004 بعد أن خرج من سجون الاحتلال الأمريكي، اثر تدهور صحته وتحرك منظمات عربية ودولية بما فيها الأخضر الإبراهيمي نفسه (ممثل الأمم المتحدة في العراق آنذاك) للإفراج عنه.

وإذا كان فارق السن لم يسمح لي أن أتعرف على سعدون حمادي في الزيارتين الأوليتين لبيروت، إلا أنني عرفت عنه الكثير من أصدقائه الكثر في بيروت كبشير الداعوق، منح الصلح، فاروق البربير، وجهاد كرم، والصديق الراحل أيلي بوري، وغيرهم وسمعت بشكل خاص ما يفيد أن الرجل كان صلباً في إيمانه، جاداً في سلوكه، جدياً في عمله، وفياً في علاقاته، وحدويا في ممارساته،علمياً في تفكيره، قليلاً في كلامه.

ولقد تأكدت من هذه الصفات التي كان يتحلى بها سعدون حمادي حين أتيح لي التعرف إليه فيما بعد في دمشق في أواسط الستينات، ثم في بغداد في زيارات التضامن مع الشعب العراقي في أوائل هذا القرن، كما تأكدت منها خصوصاً خلال الأسابيع القليلة التي أمضاها في بيروت بعد خروجه من سجون الاحتلال، وقبل انتقاله إلى الدوحة في مطلع 2005 حيث أمضى سنواته الأخيرة متنقلاً بين كتابة لم ينصرف عنها، ومستشفيات لم تنجح في محاصرة المرض الذي فتك به، ولقاءات مع أصدقاء يزورون قطر كان سعدون حمادي يضخ فيها الأمل بتحرير العراق ووحدة الأمة.

في زيارته البيروتية الثالثة، لفتني إلى أن طموح هذا الرجل الكبير، الذي كان وزيراً ورئيساً للوزراء ورئيساً للبرلمان وقيادياً بارزاً، بات يتلخص في سنواته الأخيرة أن يكون باحثاً في مركز دراسات الوحدة العربية الذي ساهم مع خير الدين حسيب وجاسم القطامي، وبشير الداعوق ، وأديب الجادر، والراحلين د.عبد الله الطريقي ويوسف صايغ ، ونخبة من الشخصيات في تأسيسه عام 1976 وتولى رئاسة مجلس أمنائه حتى عام 1991.

وفي لقائي الأخير به في بيروت قبل ساعات من المغادرة إلى قطر، كان سعدون حمادي مسكوناً بفكرة تشكيل خلية عمل من اجل الوحدة العربية، تسعى إلى متابعة كل القضايا المتصلة بالوحدة، فلا تنغمس في الشأن الداخلي لأي قطر من الأقطار، ولا تغوص في الخلافات الدائرة بين القيادات والأحزاب والفصائل، بل تركز على مشاريع محددة تؤدي إلى تحقيق هدف الوحدة على غرار تلك الخلية التي قامت في أوروبا بعد الحرب العالمية للعمل من اجل الوحدة العربية، وبدأت مع جان مونيه بمشروع اتحاد الصلب والحديد الأوروبي الذي كان ألِلبنه الأولى في مسار الوحدة الأوروبية.

خرجت من ذلك اللقاء، وقد ازداد إعجابي بالرجل الذي لم تغيره السنون، ولم تحبطه السجون، ولم تضعف عزيمته رغم الأهوال والخيبات التي مرت بها الأمة، وتعرفت أكثر من خلاله على نوع من المؤمنين الصادقين الصابرين الذين كلما ازدادت المصاعب أمامهم كلما ازداد إيمانهم بانتصار أمتهم.

وبقدر ما كان سعدون حمادي صادقاً في إيمانه، كان مخلصاً في صداقاته، حتى أن الثلاثي سعدون حمادي، وخير الدين حسيب، وبشير الداعوق بقي علامة فارقة في ثبات العلاقات الإنسانية رغم تنوع الاجتهادات والمواقف والمشارب بل والمسارب السياسية اليومية.

ومما اذكره دائماً قول لبشير الداعوق (الأستاذ اللبناني في علم الاقتصاد في الجامعة الأمريكية في بيروت و"صاحب دار الطليعة") حول هذه العلاقة: لي صديقان في العراق هما خير الدين حسيب وسعدون حمادي، ولكنني لا اذكر إنني استطعت أن اجتمع بهما سوياً في بغداد، لأن حين يكون احدهما خارج السجن يكون الآخر داخل السجن، وحين يكون احدهما داخل العراق يكون الآخر خارجه.

سعدون حمادي ابن كربلاء العراقية العربية الآبية، وجه لن تنسينا إياه الأيام، انه شهادة حية في حياته ومماته، على عروبة العراق وعلى وحدة العراق، لا سيما في زمن حرب الاحتلال المستمرة على عروبة هذا البلد العظيم وعلي وحدة ابنائه.

وقد لا تسمح الظروف الأليمة اليوم بأن يدفن ابن كربلاء في مدينته العابقة بالمراقد والمقامات والرموز المقدسة، ولكن حتماً سيأتي يوم يستقبل فيه كل العراقيين رفات سعدون حمّادي بما يستحق من حب وتقدير وإعجاب ويلفونها بدموع الفراق وفرح التحرير معاً"

المفكر القومي الدكتور سعدون حمادي

اسماعيل ابو البندورة

حتى عندما رحل عن الدنيا بعيداً عن وطنه العراق المحتل ومشرداً عن بلاده التي احبها واخلص لها حتى آخر لحظة في حياته، اوص المفكر القومي سعدون حمادي بان ترسم على ضريحه خارطة الوطن العربي بحدوده الخارجية وان يكتب على شاهدة القبر:

أيها المواطنون: عليكم بوطنكم العربي، وحدّوه في دولة قومية تقدمية، فليس غير الوحدة العربية ما يحقق لكم الامن والنهضة والتقدم، وهي لا بد متحققة باذن اللّٰه وجهادكم .

هكذا كان المفكر القومي سعدون حمادي في حياته، وهكذا مض وهو ينادي بالوحدة العربية بارادة صلبة لا تنثني وقدرة معرفية هائلة على الاستبصار والاستشراف عزّ مثيلها، فهو من بين القلائل الذين لم يراودهم اليأس والاحباط ولم تثنه تجليات الانحطاط العربي عن الترويج لفكره الوحدوي وقناعاته القومية، ذلك انه كان يرى دائماً ما لا نراه من خلال قناعاته العلمية والتاريخية ان الوحدة آتية وان ما يحول بينها وبين التحقق هو هذه المؤثرات الداخلية والخارجية التي تتكالب عليها لابعادها عن مجال التداول العربي والاقتناع بالواقع القطري الراهن على انه نهاية مطاف ولا تبديل او تغيير له في الحاضر والمستقبل.

ويمكن القول بان الدكتور سعدون حمادي كان مفكر الوحدة بامتياز واحد ابرز رموزها حيث قصر معظم جهده وجهاده الفكري عليها وجعلها قضية بؤرية للنهضة العربية مع ادراكه لاهمية العناصر الاخرى للنهضة وبناء المشروع الحضاري العربي. وبقدر ما كان داعية للوحدة كان ناقداً ومراجعاً لكل اطروحاتها ذلك انه تميز بفكر نقدي وعلمي لا يخضع للموقف السياسي والايديولوجيا الشعاراتية بقدر ما كان يؤسس ويؤصل لفكرة جوهرية في الحياة العربية ولفكر قومي يراه خياراً معقولاً ومنطقياً لتجاوز حالة الانحطاط العربي وفيه دعوة ورسالة للانبعاث والتقدم والتجدد، وفيه ممكنات الاستنهاض والنهضة.

كان الدكتور سعدون حمادي يدرك اهمية الوحدة باعتبارها خياراً استراتيجياً للعرب وهدفاً من اهداف نهضتهم وتقدمهم ووسيلة لارتقاء وطنهم ولذلك جعلها محور تفكيره واسهاماته الفكرية وكان في هذا المجال مثقفاً عضوياً ملتزما بقضية ولم يكن مفكراً محترفاً تستهويه الافكار بذاتها بغض النظر عن امكانات تجسدها وتحققها في الواقع المعطى.

وكان التزامه الفكري يدفعه في كل الاوقات ان يقدم مداخلات فكرية نوعية تسهم في التجديد واعادة الحديث عن قضية العرب الاولى وهي الوحدة وعثراتها وازماتها والعوامل التي تحول دون تحققها او تقف في طريق تحققها. واذا كان في مرحلة معينة من مراحل حياته قد حاول

ان يستوعب حالة الانحطاط في الواقع العربي وان يدخلها في مجال نظره وابحاثه الا انه لم يتراجع امام اية لحظة نكوص او تراجع فيقيناته ثابتة وايمانه مستمر وقناعاته تتجدد وتبدد الغيوم والظلال التي تغطي احياناً عقل الامة وتجعلها في ضلال مبين او تنأى بها عن تاريخها ومسؤولياتها، فكانت كتاباته واطروحاته تتضمن دعوة للامة لكي تعيد قراءة حاضرها بعيون ورؤى قومية مستقبلية ترى الافكار الكبرى الحافزة ولا ترى الفكر اليومي الهزيل والخاضع لاكراهات اللحظة، وكان في كل مداخلاته يقدم جديداً ويضيف الى تراث الفكر القومي ابداعات فكرية نوعية ويجيب على اسئلة الواقع العربي بغية اخراجه من الاختناق والانسداد.

وكانت استشعاراته واستبصاراته تدرك ما يدور في عقول العرب من تساؤلات فيقدم اجوبة علمية منطقية تكون بمثابة رافعة لاعادة التوازن العقلي والنفسي للانسان العربي وتمده بالامل وتبعث فيه الارادة، فالارادة وبعثها كانت احدى اهم مرتكزات فكر الدكتور سعدون حمادي وكان ايمانه عميقاً بالارادة القومية وقدرة الانسان العربي على الانطلاق وكسر القيود وبناء الحياة ولذلك عوّل على هذه الارادة كثيراً لا بل جعلها مفتاحاً رئيساً للتغيير.

كتابات الدكتور سعدون حمادي وأفكاره لا بل مشروعه الفكري في موضعة فكرة الوحدة في العقل العربي تحتاج الى دراسات هادئة ومفصلة (وخصوصاً ان اعماله الكاملة قد صدرت عن مركز دراسات الوحدة العربية بداية هذا العام 2008)، وما اقوله هنا هو عبارة عن هوامش عامة ترنو الى دراسة هذا المفكر وقراءة فكره الوحدوي واشاعته في هذه المرحلة العربية الراهنة التي اصبحنا نرى فيها نذر معاداة الوحدة او التقليل من اهميتها او اعتبارها من اضغاث الاحلام.

ان قراءة فكر الدكتور حمادي تجيب على هذه المسائل وتعيد الى العقل قضية من اهم قضايا الوجود العربي ومهمة الدكتور حمادي كانت ولا تزال بان تبقى قضية الوحدة العربية امام الخيال وامام العقل وفي كل لحظة نهضة، لان ما نراه من تراجعات في واقعنا الراهن لم يكن الا تجلياً من تجليات معاداة الوحدة او التفريط بها باعتبارها خياراً قومياً رئيسياً يضع الامة على خارطة العالم ويؤكد حضورها ووجودها ومكانتها التاريخية نترحم على الدكتور حمادي وندعو ابناء الامة الى قراءته وتجسيد افكاره وهو اعز ما يتمناه مفكراً ومناضلاً.

رجال تحت شمس المبادئ : د. سعدون حمادي في ذكرى ميلاده

بقلم: عادل خلف الله

في 16 مارس من عام 2007م رحل الإنسان المناضل والمفكر القومي ورجل الدولة الفريد، والعقل المبدع البناء، والقيادي بحزب البعث العربي الاشتراكي، الدكتور سعدون حمادي، بعد مسيرة حافلة بالعطاء في مختلف ضروب الحياة والنضال، فقد أضاف واغنى بمساهماته التجربة النضالية للبعث، والنضال التحرري، فكرا وتنظيما، وتنزيلا عميقا وشفافا للفكر القومي الاشتراكي التحرري، من سماء الشعارات إلى واقع التجسيد المبدع العملي لها في تجربة الحكم الوطني في عراق تموز/ يوليو بدءا من الإصلاح الزراعي، والتحول الاشتراكي، والتنظيم والتربية الحزبية، إلى التحول الديمقراطي، والتعددية، والدستور العراقي، والعلاقات الخارجية، وعدم الانحياز، والوحدة العربية، على سبيل المثال لا الحصر ،ومضيفا ،بها من جانب آخر، رفوفا في مكتبة الفكر والنضال ، ولقد حوت كل ذلك وصيته التي تفصح عن أصالة معدنة، وعمق ارتباطة بالمبادئ التي آمن بها، وجعل حياته تعبيرا صادقا ودقيقا عنها والتي جاء فيها:

"أوصيكم أن يكون مدفني في مدينة كربلاء في المدفن الخاص بنا بجانب المرحومة والدتكم وبحجم ضريحها وأن يرسم على وجه الضريح خارطة الوطن العربي بحدودها الخارجية وأن يكتب على الضريح بالعربية الواضحة: (أيها المواطنون: عليكم بوطنكم العربي وحدوده في دولة قوية تقدمية فليس غير الوحدة العربية ما يحقق لكم الأمن والنهضة والتقدم، وهي لا بد متحققة بإذن الله وجهادكم وأوص أيضا، بأن تكون ثروته وقفا للوحدة العربية وللنضال في سبيلها.

وعلى الرغم من أن الراحل الكبير ، من اوائل الحاصلين على درجة الدكتوراة في الاقتصاد الزراعي مطلع الخمسينات من القرن الماضي ، وتسنمه العديد من الوزارات منها الزراعة، النفط، الخارجية، مجلس الوزراء، المجلس الوطني، اضافة الى كونه من الجيل المؤسس للبعث وطنيا وقوميا، إلا أن ما تركه من ورائه من متاع الدنيا الفاني، لم يتجاوز بضعة آلاف من الدولارات، اتضح انها من عوائد مطبوعات مؤلفاته التي اصدرها مركز دراسات الوحدة العربية، الذي أسهم في تأسيسة في بيروت.

حمادي، أنموذج، من مدرسة البعث النضالية، والحركة الوطنية العراقية، الذين أكدوا،بمحبة وعفوية، أن الالتزام قمة الحرية، وأن المثقف هو المناضل، وأن الثقافة هي النضال، حينما يربط الإنسان مصيره بمصير امته وشعبه، كما قالها القائد المؤسس، عليهما رحمة الله وبركاته. واستطاع، مع رفاق دربه، ودون ضجيج أو صخب، وبتواضع منقطع النظير، أن يتساموا فوق مفاسد السلطة ومغرياتها، بل ويجعلوها في خدمة المبادئ والإنسان، ورسالة الأمة ومستقبلها.

رحل حمادي ولم يرحل.

فكونوا حمادي باستحضار مآثره واستلهامها، وعضوا على وصيته بنواجذ نضالكم وجهادكم.فلا نهوض ولا تقدم وتحرير ،بلا نضال موحد،وفي سبيل الوحدة .

ذكرياتي في الاسر مع الشهيد الدكتور سعدون حمادي

الحاج علي القيسي

رئيس جمعيه ضحايا سجون الاحتلال الامريكي

اذكر انه بعد خروجي من المحاجر الانفراديه وعودتي الى مخيم (الفيجي لاند) واستقبالي من قبل الاسرى والمعتقلين العراقيين كان يظهرون حاله من التعاطف والحزن والاسى على حالي مما ال بي من نحول وتعب من اثر التعذيب والجوع وفور وصولي تم الاتفاق على ان اكون اماما ومحاضرا في الخيمه الثالثه حيث كنا عاده ما نعقد حلقات بعد الصلاه للتعبئه وتثبيت الاخوه الاسرى وشد ازرهم ورفع معنوياتهم وحثهم على المقاومه والصبر اثناء التحقيق حيث اننا نمتلك خبره ثلاثه اشهر من التحقيق في المحجر ولدى تعرفي على من يسكنون في هذه الخيمه فوجئت بوجود الشهيد الدكتور سعدون حمادي رحمه الله يجلس في الركن الاخير وكان رغم ان ثيابه شبه ممزقه وجسده ضعيف بسبب تقدم العمر والمرض الا ان نبره صوته المعهوده وتماسكه لم تتغير ابدا وقد سلم علي وشجعني حيث علمت بعد ذلك انه كان يزور كل من يعود من التحقيق في خيمته ويحثه على الصبر والثبات

علما ان حضور الحلقات بعد الصلاه تكون اختياريه لمن يحضر ولكن من باب الادب كنت استاذنه في بدء كل محاضره بالكلام وخلال الايام اقتربت منه اكثر واكثر وبين لي انه لا يتكلم في شيئين هنا الامور الدينه ذات الحسايه الطائفيه والامور الحزبيه لان ذلك قد يثير خلافات في وجهات النظر في هذه الفتره بالذات ولكنه اثنى علي حيث كان في كثير من الاحيان يستمع لحديثي وشجعني على الاستمرار في الكلام والذي اكثر ما اعجبه فيه الابتعاد عن النظره الطائفيه والعرقيه (حيث قال لي رحمه الله كنت ارأس لجنه ثقافيه تتابع الكتب التى تدخل او تطبع في العراق وكان حرصنا في هذه اللجنه منع كل ما يثير النعره الطائفيه او العرقيه وحتى انه ذكر لو كان الكتاب من عده مجلدات ووجدت به جمله تدعو للطائفيه او التعصب العرقي يرفض كل المجلد)

ولكني كنت احس انه انه يعيش وحده خاصه مع نفسه بالرغم من خروجه صباح كل يوم لاداء التمارين الرياضيه والمشي بين الخيم وكان يحظى باحترام الجميع وكنت دائما اسئله اسئله اقصد من خلالها ان اروح عنه لانه كان كثير الصمت ولا يتكلم الا للضروره وكنت اتمنى ان اسمع نبره صوته في الكلام وكان من الاسئله التى اثارت اهتمامه بشكل غريب سؤالي له هل كان اجتماعتكم كوزراء خارجيه عرب ام وزراء منظمه اوابك يلقى اهتماما لدى الغرب؟

فاندهش من السؤال غير المتوقع وقال لي لم اتوقع ان تسالني هذا السؤال لكني ساجيبك وقال عندما كانت منظمه اوابك قويه كنا فقط عندما نعلن نيتنا الاجتماع يحبس العالم انفاسه لحين انتهاء الاجتماع.

وذات مره زارنا وفد من الصليب الاحمر وكان من بينهم رجل سويسري واعتقد انه كان وزيرا سابقا وهو متقاعد ويعمل كمتطوع في الصليب الاحمر على ما اظن وعند الاجتماع داخل الخيمه حاول الامريكان الاوغاد ابعاد الوفد عنا بحجه اننا قتله وارهابيين ولكن تم الاجتماع بعد اصرارنا على ان نكلم الوفد منفردين وعدم دخول اي جندي امريكي معهم.

وقدمنا الدكتور سعدون حمادي الى الخيمه الاولى واردنا تقديمه كمتكلم نيابه عنا كونه زعيم سياسي عراقي وطني بارز يجيد عده لغات وحاولنا ان نميزه بالجلسه في الخيمه ووضعنا له(جليكان ماء فارغ) وعليه بطانيه حتى نميزه امام الوفد وتكريما له ظمن ما نملك من امكانيات لكنه رفض بشده وجلس معنا على الارض وبداء اللقاء وكان يحاور الوفد كل حسب لغته ولاحظنا ان احد اعضاء الوفد والذين اشرنا اليه سابقا بداء بالبكاء وترك مقعده وجلس على الارض بجانب الدكتور سعدون حمادي حيث تبين انه سبق وان التقاه عندما كان وزيرا وتذكره فيما بعد اي بعد بدء جلسه الحوار مع وفد الصليب الاحمر.

وكان رحمه الله يقوم بالترجمه بيننا وبين الوفد وكان يقطع الترجمه بين فقره وفقره ويجهش بالبكاء ليس ظعفا ولكن احساسا بالالم لما حصل لاخوته الاسرى من معاناه وتعذيب شديد لا يحمله الا رجال من طراز خاص وحين جاء دوري بالحديث كان اكثر كلامه اثناء الترجمه باكيا ومتحشرج الصوت وكان اكثر ما المه هو حديثي عن ما مريت به خلال وجودي بالمحاجر حيث ما ان التقيت معه بعد اللقاء كان يبدي اسفه على ما حصلي لي من معاناه.

اما الاخ (ك) وهو من اخوتنا الكورد من مدينه كلار قد استهل حديثه امام لجنه الصليب الاحمر بقوله ان كل ما لاقاه في سجن ابو غريب يعتر نزهه الى ما عاناه ولاقاه في سجون زمره جلال ومسعود حين احضروا زوجته وجردوها من كامل ملابسها امامه وامامهم واجبروه على التوقيع على ما كتبوه وسلموني بعدها للامريكان وبما ان شمالنا الحبيب بارد وتتساقط عليه الثلوج شتاء كانوا يضعون (ك) ومن معه في توابيت من الثلج وكم تالم الشهيد رحمه الله الى تلك الحاثه وكانت شفتاه ترتجفان مع تساقط عبراته وكنت استمع واياه اليها حينما كان يسردها الينا الاخ(ك).

ولا انس موقفه البطولي صباح ذات يوم عندما طلب ابره وخيطا وكانت الابره عباره عن (دنبوس ورق) والخيط ننسله من الخيمه حيث كنا نجلس في الشمس صباحا وكان رحمه الله يريد ان يحول احد فانيلاته القديمه الى جواريب بسبب البرد وحين راه الحارس الامريكي ذهب

وجلب له جواريب جديده الا انه رفض ان يستلمها منه وقال اذا اعطيت كل الاسرى جواريب فاني اقبلها والا فدعني اكمل حياكه جواربي من بقايا فانيلتي وهذا ما تم حيث حاك جورابا لنفسه من بقايا فانيلته.

وموقف اخر وبسبب عدم خوضه في الحورات الحزبيه او الدينيه رجوته ذات يوم ان يكلم الاسرى عن عادات وتقاليد الشعوب التى زارها ومواقفها من العراق كونه صاحب خبره في هذا المجال وان قسما كبيرا من الاسرى لم يخرج من العراق فوافق وبداءت حلقاته تكبر يوما بعد يوم وجمعت حوله الكثير وكان يمرر اثناء الحلقات الكثير من المواقف والامثله التى من شانها توضيح ما قام به العراق اتجاه الكثير من الدول من مد يد المساعده والبناء والتعليم لتلك الدول وتنكروا له لاحقا وكان ذلك متنفسا له يخرجه من صمته وكم كنت اسعد انه يتكلم وعندما يتكلم اشعر بان الكل يستمع بانصات تام له وكان يفرح بهذه الفسحه من الوقت. وذات يوم سالته مداعبا يا دكتور انت خريج جامعه امريكيه في بيروت فانت متهم لدينا فاجاب مبتسما لقد تخرج من الجامعه الامريكيه انذاك نخبه كبيره من الساسه والمثقفين العرب والمناضلين ولم يتلوثوا باي فكر معادي لامتهم. وتكريما لنصيحته قمت بعد الافراج عني بعمل معرض عن انتهاكات حقوق الاسير العراقي في ظل الاحتلال في حرم الجامعه الامريكيه في بيروت التى تخرج منها الدكتور سعدون رحمه الله وكنت قد ذكرت لمن زار وشارك في المعرض ان الدكتور سعدون رحمه الله احد خريجي هذه الجامعه وتذكره بعض الاساتذه ممن زاملوه الدراسه وسرهم ثناءه على جامعته وهو في تلك الظروف وكان رحمه حين يستمع الى مواقف الشجاعه والبطوله للاسرى وخاصه ممن هم في صفوف المقاومه نشعر به يزهوا وينتشي فرحا وتعود اليه ابتسامه الثقه بالامه والثقه بالنصر وحين خروجي من السجن وكنت حافي القديمين اسير على الخط السريع خلف سجن ابو غريب كان يلاقينا ذوي الاسرى يحملون صورهم ويسالونا عنهم وقد تقدمت نحوي امراء تحمل صورته وسالتني عنه فهرت من عيني دمعه لاني اشاهده في صوره غير تلك الصوره واخفيت دمعتى عن تلك المراءه وقلت لها فقط اذكري اسمه ولا داعي لحمل رسمه لانه بطل ورمز لا يخفى على اي اسير او معتقل.

إلى الدكتور سعدون حُمّادي الانسان والمناضل والرئيس

جهاد جورج كرم

أخاطبك في عليائك وأنت في دار الخلود مع الشهداء والأبرار والصدّيقين، حيث لا وجع ولا هلع ولا هموم، بل حياة زاهرة أبدية.

أنت في مكان يليق بك وتستأهله. ولعلّ ما حرمت منه في دنياك، رغم ما وصلت إليه من مناصب ومراتب، وما قاسيته مع أبناء جيلك وتحمّلتموه من جراح، لا يقاس بالراحة التي تنعم بها الآن.

انطلقت من كربلاء، مدينة الجهاد والملحمة التاريخية، للذود عن الحق، حاملاً معك عبق معانيها وروح رسالتها، ممزوجة بآهات الحرمان والفقر وشظف العيش وجفاف الصحراء التي تحمل رياحها، أثناء بعض فصول السنة، الغبار والتراب.

وبالرغم من هذه المصاعب كلّها، ظللت وفيّاً لها، فخوراً بها، كأجمل بقاع الأرض.

حللت في بغداد العاصمة العصيّة على الغزووالاحتلال، وتنشّقت فيها هواء العروبة النقيّ، وتمرّست بقواعد النضال السخيّة، وكنت بين الروّاد الأوائل للبعث في العراق.

في تلك الحقبة من تاريخ العراق التي شهدت حدّة الانقسام السياسي والتنافس العقائدي، وخروج مئات الآلاف من المتظاهرين العراقيين إلى الشوارع للتنديد بمعاهدة "بورتثموس"... وكنت في مقدمتهم. لم يمنع ذلك إدارة البعثات في وزارة التربية العراقية من إدراج إسمك للحصول على منحة الدراسة في الخارج، لتفوّقك في التحصيل وبالتالي الإلتحاق بالجامعة الأميركية في بيروت، وبعدها بجامعة "وسكنسون" في الولايات المتحدة الاميركية.

لم استطع مواكبتك في بيروت، محطتك الأولى، حيث كنت أتابع دراستي الثانوية في مدينة طرابلس-الفيحاء. وعندما دخلت الجامعة الأميركية في العام الدراسي 1952-1953 كنتَ قد غادرتها.

ولم يمنع بُعدُ المسافة بيننا من التعرّف اليك عبر البصمات الواضحة التي تركتها في محيط الشباب القومي العربي في العروة الوثقى وخارجها، كمثال على الجرأة والصراحة والجدّية والنضال الحثيث.

وقد روى عنك معاصروك من البعثيين، في تلك الفترة، حكايات وطرائف ونوادر، وعن نضالك في أحياء بيروت وطرابلس وبعلبك والجنوب ويُشْهَدُ لك في هذا المجال أنك بين أبرز مؤسسي البعث في لبنان...

الدكتور سعدون،

إسمح لي أن أتجاوز كبرياءك وشدّة حيائك مع إصراري أن لا أُخْجِل تواضعك، بالحديث عن بعض إنجازاتك العلمية، ومنها انفتاحك على الثقافة الأجنبية أثناء توجّهك للدراسات العليا في لبنان وأميركا، وتمسّكك بالأساليب العلمية للوصول إلى الحقيقة، واعتماد الحوار والمنطق، يوم كانت الجامعات داخل الولايات المتحدة الامريكية تطبّق مثل هذه الأساليب، دون أن يؤثّر ذلك على ثوابتك الوطنية والقومية.

لم تطل إقامتك في الولايات المتحدة الاميركية، فحملتَ شهادة الدكتوراه وعُدتَ لتضع خبرتك الجديدة في خدمة الدولة العراقية، ولتتابع مسيرة النضال مع رفاقك في صفوف حزب البعث.

من ينسى دورك البارز والمميّز في جريدة الجمهورية والحياة السياسية عامة في العراق، بعد ثورة 14 تموز عام 1958. وكم آلمكَ وأشقاكَ، الصراع الدامي والمرفوض بين القوى القومية الوحدوية من جهة، والوطنية من جهة أخرى... هذه الأحداث دفعتك إلى الخروج من العراق باتجاه ليبيا ثم إلى بيروت.

أتذكرُ انضمامك إلينا في ذلك البيت الذي أشرفت عليه السيدة "ملكة" في العمارة الواقعة بين تقاطع المقدسي والصيداني في رأس بيروت. مثّلتْ هذه المرأة المتقدمة في السنّ، رحمها الله، قمة التناقض بين اللين والشدّة، الكرم والبخل، الطيبة والخبث. وكنتَ تردّد في التعليق على تصرفاتها "تركنا بغداد لنقعَ في قَمعٍ أسوأ."

في هذه الحقبة الجميلة من "رأس بيروت"، استطعتُ أن اكتشف الجانب الانساني في شخصيتك، فظهرتَ يوما على حقيقتك، وبان، دون أي لبس، عنصر المرح في تكوينك النفسي. وإن ما هوجدّي في مظهرك لا يمنع تدفق الخزين من العواطف والمشاعر والأحاسيس لديك...

وكم أردت أن تطرد شعورك بالتوحد والوحشة اللذين واجهتهما أحياناً في حياتك بالتفتيش عن العاطفة التي تقود إلى الاستقرار بالزواج، وتكوين عائلة نموذجية، التي وفّرها الله لك فيما بعد بأولادك، حماهم الله.

مرّت أحداث على نطاق الوطن العربي وفي العراق، فلم تتغيّر أوتتبدّل. ولا يتّسع المجال للحديث عن دورك وما قمتَ به في رئاستك لشركة النفط الوطنية، ولا مسؤوليتك الأولى كوزير للنفط.

سأكتفي بالتذكير ببعض ما قمت به خلال تسّلمك وزارة الخارجية في خريف عام 1974.

كنا، آنذاك بالدورة التاسعة والعشرين للأمم المتحدة. وفرح جميع أعضاء الوفد بقدومك رغم فاجعة الموت المفاجئ بالأزمة القلبية الحادة للوزير الذي سبقك الأستاذ "شازل طاقة"، وهوفي طريق العودة من نيويورك إلى بغداد عبر الدار البيضاء.

ولكن أحد أعضاء الوفد من أصدقائك ومحبّيك، وهومن الظرفاء الذين غادروا هذه الدنيا قبلك، بادر معلّقاً بأن شعار الوزارة الجديد سيصبح "العبوس" عوضاً عن "الابتسامة"...إنه يعرفك تمام المعرفة وقد طرح الأمر من باب الدعابة.

كانت ثقتك بنفسك كبيرة، وأنت أعلم الناس بما حققته على أكمل وجه من مهام. أبديت رأيك بصراحة وجاهرت بالموقف الصحيح عندما كانت تسمح الظروف.

أشهد أنه، خلال ممارستي مسؤولياتي كسفير للجمهورية العراقية في الهند بين 13 شباط عام 1978 و18 أيار 1980، حصلت قضايا مهمة في نطاق العلاقات الثنائية بين البلدين، أدّت إلى تباين في وجهات النظر بين السفارة وإحدى الجهات الرسمية العراقية التي كانت معنيّة بمتابعة بعض القضايا الخارجية في الهند وفي محيط شبه القارة الهندية.

لقد انتصرت لوجهة نظر السفارة في أكثر من مناسبة، ليس من منطلق التضامن معها لكونها ضمن دائرة صلاحياتك، بل لقناعتك بصواب تحليلها وصحة اجتهادها.

لقد فعلت ذلك بكل جرأة ولم يكن الأمر بالسهل عليك.

تحضرني أيها الدكتور العزيز في هذه المناسبة، زيارتك إلى "ليما" عاصمة "بيرو" في آب عام 1975 يوم ترأست وفد العراق إلى مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز. كان هذا البلد الأمريكي اللاتيني وما يزال معروفاً أنه سوق للفضة والنحاسيات. وكنتَ تدرك مدى معرفتي به لأنه سبق لي أن زرته بمناسبة المؤتمرات الدولية التي شاركت فيها. كانت رغبتي أن أعرّفك على المدينة ولا سيّما سوق الفضة. ذهبنا إلى إحدى الأمكنة المعروفة، فأعجبتك صينيّة، وكان سعرها 2500 دولاراً أميركياً، ورفضت شراءها. والجميل في الأمر أنك لم تكتم السبب، بل أبديت بكل صراحة وشفافية رفضك للسعر. أُعجِبتْ البائعة بردّك المغرق في اللطف وقبلت عذرك برحابة صدر، رغم حزنها على ضياع عملية البيع. ولما أبديتُ تعجّبي من موقفك، كان ردّك: (أتريدني أن أجاريكم يا لبنانيين بالبطر.

لن أحدثك عن الحزن الذي خلّفه غيابك، ولكني أكيد بأنه شامل وواسع، ولم استطع مشاهدة الأصدقاء والمحبين والمقدّرين بعد، ولم أقم بواجب العزاء إلى رفيقيّ عمرك والأقرب إليك: " الدكتور خير الدين حسيب" و"الدكتور بشير الداعوق"، زملائك في مركز دراسات الوحدة العربية. فقد كنتُ بعيداً عن بيروت، والأنباء المؤلمة تتأرجح بين الشك واليقين، فقد كنا نريد أن لا نصدّق.

لن أنسى لهفتك إلى بيروت والى رفاقك القدامى، وحرصك على متابعة أخبارهم فرداً فرداً، خصوصاً في السنوات الأخيرة التي تولّيت فيها رئاسة مجلس الوزراء ورئاسة المجلس الوطني.

أعتذر إليك أيها الغالي، فقد قصّرتُ معك في زيارتك الأخيرة مع السيدة الفاضلة عقيلتك، وإقامتك القصيرة في لبنان، حيث أخفقت ممارسة " القيام بالواجب". ولم يكن مردّ ذلك قصوراً في العاطفة.مْ قرير العين... فأنتَ ستظّل نموذجاً فريداً بين رفاقك وأصدقائك ومعارفك الذين سيظلّون يحملون اليك الوفاء والحب.

في وداع الدكتور سعدون حمادي

هشام عودة

رحل الدكتور سعدون حمادي، وتم دفن جثمانه بعيدا عن الارض التي عشقها ونذر حياته للدفاع عن وحدتها وحريتها وعروبتها. كان مفكرا قوميا، وعقليته اقتصادية فذة، وأحد ابرز ثلاثة اشخاص اسهموا في بناء الدبلوماسية العراقية المعاصرة الى جانب الرئيس صدام حسين وطارق عزيز. الدكتور سعدون حمادي، الشيعي العربي الذي ينتمي لمدينة كربلاء، من اوائل الذين اعتنقوا فكر البعث في العراق، وانتمى لعروبته حتى في تفاصيل حياته الشخصية حين اقترن بسيدة فلسطينية ظلت الى جانبه حتى يومها الأخير. عضو بارز في قيادة البعث في العراق، ورئيس وزراء بعد العدوان الثلاثي مباشرة، ورئيس للمجلس الوطني العراقي واحد مهندسي قرار تأميم النفط في العراق. اعتقلته قوات الاحتلال رغم ان اسمه لم يكن واردا على قائمة المطلوبين، وظل حتى يومه الاخير عراقيا بامتياز، مثلما كان عربيا بامتياز ايضا. هادىء الى درجة لافتة للنظر، وصارم حين كان الامر يتطلب صلابة الموقف، وكان الدكتور سعدون حمادي العربي العراقي الشيعي البعثي احد الاسماء الكبيرة في المشهد السياسي العراقي في نصف القرن الماضي، واحد الذين امتد نفوذهم وحضورهم خارج حدود العراق، حيث تعرفه عمان ودمشق وبيروت والقاهرة وطرابلس وغيرها من العواصم العربية. وللرجل اسهاماته في تطوير الفكر القومي العربي، لذلك كان طبيعيا ان ينعاه رفاقه واصدقاؤه وهم يطلقون عليه لقب المفكر القومي، فرجل مثل الدكتور سعدون حمادي لم يكن حزبيا ودبلوماسيا وسياسيا ومناضلا فحسب، بل كان كلها جميعا وكان مفكرا قوميا ايضا. لم يدخل الراحل في خصومات سياسية جانبية، بل كانت العروبة وفلسطين هي ما تحدد موقفه من الاشخاص والتيارات والحركات السياسية، وكان يملك منطقا قادرا على الاقناع في كل المحافل والمنابر التي تستضيفه. قاد الدبلوماسية العراقية، مثلما قاد السلطة التشريعية، تماما مثلما قاد رفاقه في الحزب، وقاد مع رفاقه معركة تأميم النفط وخطط التنمية الانفجارية. رحيل الدكتور سعدون حمادي غريبا، ليس خسارة للعراق فقط، بل خسارة لجبهة عربية عريضة تحمل لواء عروبتها ضد الاعداء وحلفائهم.

الانباط الاردنية 18-3-2007

سعدون حمادي.. كبير في حياته وكبير في مماته

د. صباح محمد سعيد الراوي

والله إن المرء المخلص والمحب للعراق ولأرضه الأبية ولشعبه المجاهد ولشهداءه الابرار ليصاب باللوعة والالم والحزن والحسرة حين يقرأ الشهادات عن رجال مخلصين شرفاء من أمثال الراحل الكبير المرحوم سعدون حمادي... ليس الحزن على وفاته... لا.. فكلنا على هذا

الطريق... فهي مسألة أيام اوسنين... وكما يقال: نوصل بعضنا البعض الى القبور...ونترحم ونصلي على أرواح بعضنا البعض... فاليوم نترحم ونصلي، وغدا – ان شاء الله – يصلى علينا ويترحم علينا...فلا أسف على قدر محتوم ...

أنما الاسف واللوعة والحسرة والدمعة على رحيل شخص مثل سعدون حمادي بتلك الطريقة، وبهذا الهدوء... يا الله كم هم عظام رجال العراق.. يا الله كم هم كبار رجال شهيد الحج الاكبر صدام حسين... لا يحبون ان يزعجوا أحدا في حياتهم.... ولم يزعجوا أحدا في مماتهم... فمن أي معدن نقي هؤلاء الرجال الاشراف الاطهار؟؟ وهل سيمر على العراق رجال امثالهم؟؟

ولا أعتقد ان كل حر شريف كتب مادحا بالمرحوم سعدون انما ابتغى جاه أومال، ولولم يكن الرجل يستحق كل كلمة قيلت بحقه لما قرأنا على صفحات البصرة وغيرها هذه الاشادات به وبمواقفه البطولية العروبية العراقية الاصيلة... فالرجل كان شخصية عربية عراقية مرموقة، يشار اليها بالبنان...وكان فخرا للعرب والعراق على السواء...

الرجل تجاوز السبعين من عمره، فاحتجزه اوغاد وسفلة ومجوس ومغول وحثالات الارض، وربما اساؤوا اليه وهوالكبير.. وربما تطاولوا عليه وهوالاديب، وربما وجهوا له كلمات مسيئة وهوالشريف...ومع هذا... لم نرى تحركا لما يسمى جامعة عربية – مهزلة – كان الراحل الكبير يوما ما يحضر اجتماعات وزرائها ممثلا لأهم دولة فيها.... خرج الرجل من سجون المحتل المغولي الصفوي فلم نرى أعضاء ما يسمى جامعة الدول العربية المستعربة يفتحون له الابواب ويتسابقون لدعوته للمجيء الى بلادهم والبقاء فيها... ولومن باب ذر الرماد في العيون... كعربون وفاء لرجل كان يوما ما زميلا لهم.... مع الاحترام والتقدير لمن آواه في بلاده....انتقلت روح الرجل الى بارئها فلم نر برقيات العزاء ممن كانوا يتسابقون لكسب ود العراق يوما ما قد انهالت على أولاده وذويه يعزونه بمصابهم... فبرقياتهم تنهال على بوش وبلير وغيرهم لتقديم العزاء في نفوق كلابهم وقططهم...اوعندما تحل بهم كارثة طبيعية... يتحولون فجأة الى أناس ذوي قلوب رقيقة (على رأي أهل الشام....قال يعني صاحبين واجب.... يقبروا حالهم شوبيعرفوا الواجب ....(

الاعلام المستعرب – كعادته – ذكر خبر وفاة الراحل الكبير سعدون حمادي مقرونة بكلمة (الشيعي)...وكأنها تهمة، أومسبة، أوعيب!!!! وهونفس الاعلام الذي كان يردد هذه الكلمة حين كان الراحل الكبير ضمن وفد العراق العظيم، الذي تفاوض مع صغار قصبة كاظمة في جدة، عام 1990، وكان الوفد برئاسة الامام المجاهد عزة النفس أبوأحمد الدوري نصره الله وأيده مع اخوانه المجاهدين... يقولون عن الراحل الكبير انه شيعي!!! وهل الانتماء الى مذهب الامام العظيم جعفر الصادق تهمة ايها المتأسلمون المستعربون؟؟

هذا الشيعي يساوي الف مليون من امثال هؤلاء المتأسلمين المدعين للاسلام والمدعين أنهم سائرين على سنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهومنهم بريء وعلى الاكيد لايعرفون من السنة النبوية الشريفة الا وضع الكفين على بعضهما اثناء الوقوف في الصلاة! هذا اذا افترضنا انهم يصلون على وضوء!!! واذا افترضنا ايضا انهم يصلون في الخفاء... وليس مجاملة وتأدية للواجب – مكرهين – أمام الكاميرات !!!!

هذا الشيعي دعا الى الوحدة العربية وهم "السنة" دعوا الى تفريق العرب...

هذا الشيعي كان عدوا لأمريكا والصهيونية والاستعمار، وهم كانوا ولا زالوا حلفاء للصهاينة والامريكان...

سعدون حمادي "الشيعي" عاش حياته مخلصا لوطنه وأمته العربية..وهم عاشوا حياتهم مخلصين لأمريكا والصهيونية....

الشيعي سعدون حمادي وقف بوجه المد المجوسي المغولي على أرض الرافدين العظيمة وسجنته قوات الاحتلال الصهيوصفوي صليبي.. وهم "المدعين أنهم من أهل السنة" ساندوا وايدوا ودعموا المحتل الصهيوصفوي صليبي...

سعدون حمادي الشيعي ترك ثروة قليلة تكاد لا تذكر...أوص بها لدعم دراسات السبيل الى وحدة العرب...وهم ثرواتهم بالمليارات تذهب الى جيوب الامريكان والانجليز وتستثمر في بلاد الغرب وأمريكا...وتمول الحروب والعدوان على أقطار عربية واسلامية ...

فأيهم اتقى والاكثر قبولا عند الله ثم عند الناس؟ هل هذا المتهم بأنه شيعي والذي له مواقف مشرفة تسجل له في حياته وعند مماته.....أم هم الذين يتفاخرون بأنهم من أهل السنة والذين يعتقدون أنهم سيدخلون الجنة من أوسع أبوابها ولهم مواقف مخزية في حياتهم ستلعنهم الاجيال القادمة عليها؟؟ وستسطر اسماؤهم الى جانب اسماء الخونة والانذال والمرجفون في الارض ...

سعدون حمادي سيضاف الى رجالاتنا – وقد أضيف فعلا - الذين نفتخر بهم في تاريخنا المجيد، وغدا بعد التحرير ان شاء الله سيأتي المخلصون ليعيدوا الى الاذهان اسماء رجالاتنا العظام المجاهدين بالموقف والكلمة والبندقية... وسيكون اسم استاذنا الكبير سعدون حمادي نجما وهاجا مضيئا لامعا في سماء العراق العظيم الى جانب اخوانه الذين سبقوه الى دار البقاء...

فمع الف سلامة يا استاذنا الكبير سعدون..والف رحمة عليك من الله سبحانه وتعالى...ونسأل المولى ان يسكنك جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين... وعزاؤنا أن الارض الطيبة الطاهرة النقية التي أنجبتك وأنجبت اخوانك لهي قادرة ان شاء الله على انجاب الملايين من امثال صدام وحمزة وسعدون وطه وبرزان وعواد ومحمود ذياب وطارق ومزبان وكمال وسلطان وحسين وعامر وغيرهم الالاف من مثل هذه الاسماء الشريفة المجاهدة الطاهرة....

كييف – أوكرانيا

دروس في القومية تستذكر مع رحيل سعدون حمادي

شاكر الجوهري

رحم الله الدكتور سعدون حمادي..فمثله يتوجب الترحم عليه بمقدار ما خدم وطنه العراق وأمته العربية، وابتعد عن الطائفية والمذهبية المقيتة.

لم يكن حمادي سياسيا فقط، لكنه كان مفكرا قوميا كبيرا، قبل أن يكون سياسيا. وقد وظف فكره الوقاد في خدمة، ورسم سياسات قومية حكيمة.

التقيته لأول مرة في مكتبه بوزارة الخارجية العراقية ببغداد، وأظن أن ذلك كان سنة 1975.

الرجل الذي لا يبتسم، وفقا لما هو شائع عنه، دخلت إليه في مكتبه وعلى وجهه قد رسمت نصف ابتسامة.

لم يكن مشروع الإبتسامة غير المكتملة من قبيل الترحيب بي، وإنما تعبيرا عن عدم قناعته بما عرضه عليه قبيل دخولي وفدا زائرا من دولة جزر القمر.

بدأ الحديث واضعا إياي في صورة طلب الوفد الزائر..قال لي تصور إنهم يريدون تأييد العراق لطلبهم الدخول في عضوية جامعة الدول العربية..نحن لا نؤمن بعروبتهم..هم مسلمون لكنهم ليسوا عربا!..

سألته، بم أجبتهم..؟قال لم أعطهم اجابة واضحة قاطعة..اكتفيت بكلام عام لا يتضمن أي وعد. بصراحة لا نعتزم التصويت في مجلس الجامعة لصالح قبول عضويتهم، ولكن إذا وجدنا أن هناك أغلبية تؤيد قبولهم فسنكون مضطرين لإعادة النظر في موقفنا. وهذا ما حدث.

كان السؤال الأهم الذي وجهته له في ذلك اللقاء الصحفي: كيف تقدمون منحة مالية لمصر قيمتها 80 مليون دينار في الوقت الذي تقودون فيه جبهة الرفض العربية لسياسات الرئيس المصري أنور السادات..؟

الإجابة التي قدمها يومها تصلح لأن تكون درسا في العمل السياسي العربي المنتج، لا المناكف. قال رحمه الله، حرفيا، ولا أنسى كلامه "نحن لا نكتفي بدعم الشقيقة الكبرى مصر، لكننا نحث كذلك كل الدول العربية على أن تقدم المساعدة لها. إذا كنا نريد أن نصلب الموقف السياسي المصري علينا أن نصلب الإقتصاد المصري."

لهذا، أتصور أن عراق صدام حسين عمل على تعزيز الإقتصاد الأردني بالرغم من استحالة التطابق مع السياسات الأردنية.

وقد كان الدكتور حمادي رحمه الله من أبرز المفكرين القوميين في الوطن العربي، وهو عضو مؤسس في مجلس امناء مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت. وله العديد من الكتب والإسهامات الفكرية والسياسية. وبعد الاحتلال وخلال اقامته في قطر ورغم اعتلال صحته، الف كتابا عن "السبيل الى الوحدة العربية الآن"، كما كان يتواصل مع نشاطات فكرية وثقافية عربية في مركز دراسات الوحدة العربية وغيره في بيروت.

وخلال اقامته في الدوحة خلال السنتين الأخيرتين، عرفه المثقفون في قطر متابعا دؤوبا لكل النشاطات والمجالس والندوات الفكرية والثقافية، كما عرفوا تواضعه وادبه الجم، وثقافته الواسعة، وشغفه بالشعر العربي وعمقه الفكري.

وقد كان الدكتور حمادي، وهو الشيعي المذهب، أول عراقي ينتمي إلى حزب البعث، حيث انتظم في صفوف حزب البعث اواخر الاربعينيات في مسقط رأسه كربلاء، ثم سافر في بعثة حكومية الى لبنان عام 1952 وحصل على درجة الماجستير في الاقتصاد من الجامعة الأميركية في بيروت، وأكمل دراسته العليا وحصل على الدكتوراه في الاقتصاد الزراعي من جامعة وسكونسن في الولايات المتحدة في عام 1956. وعاد الى العراق في العام نفسه وعمل استاذا في كلية الزراعة بجامعة بغداد. وكان عضوا في اول لجنة ثقافية في حزب البعث في العراق قبل ثورة تموز/يوليو 1958. وتولى بعد الثورة تولى رئاسة تحريرجريدة "الجمهورية" الناطقة بلسان حزب البعث. وبعد التدهور المؤسف في العلاقات بين اطراف الحركة الوطنية في العراق وتعرض البعثيين والقوميين للملاحقة والقمع، سافر الى ليبيا وعمل في التدريس، حيث اعتقلته سلطات الحكم الملكي السنوسي بتهمة العمل في قيادة تنظيم حزب البعث في ليبيا، والتخطيط للقيام بحركة انقلابية ضد نظام الحكم الملكي في ليبيا، وهو ما تنفيه كل المصادر. وقد حكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات، كما حكم بالسجن على معظم اعضاء حزب البعث الذي تمكنت السلطات الليبية من القبض عليهم في حينه، ذلك أن من يقيم منهم خارج ولاية طرابلس (في ولايتي برقة وفزان) تمكنوا من الهرب ومغادرة الأراضي الليبية قبل القبض عليهم.

وبعد اطلاق سراحه، إثر انتهاء محكوميته، انتقل الى سوريا وعمل في مؤسسات الحزب الثقافية حتى قيام ثورة الرابع عشر من رمضان (8 شباط/فبراير 1963) في العراق، فعاد الى بغداد، وكان انذاك عضوا في قيادة قطر العراق لحزب البعث، حيث عين وزيرا للاصلاح الزراعي. وبعد انقلاب الثامن عشر من تشرين الثاني/نوفمبر 1963 عاد الى سوريا. وبعد ثورة السابع عشر من تموز/يوليو 1968 عين رئيسا لشركة النفط الوطنية العراقية ثم وزيرا للنفط. وفي فترة توليه المسؤولية شهدت صناعة النفط الوطنية العراقية وضع الاسس المتينة

لانطلاقتها الكبرى. ثم تولى وزارة الخارجية في منتصف السبعينيات وحتى عام 1982 حيث اصبح نائبا لرئيس مجلس الوزراء للشؤون الإقتصادية، وفي اواخر الثمانينيات انتخب عضوا في قيادة قطر العراق لحزب البعث، وعين في آذار/مارس 1991 رئيسا لمجلس الوزراء، ثم انتخب في عام 1996 رئيسا للمجلس الوطني العراقي، وبقي كذلك لدورتين حتى الاحتلال الاميركي للعراق. وكانت قوات الاحتلال اسرته لمدة 9 أشهر دون أن توجه له أية تهمة. وتعرض خلال فترة الأسر، وهو في اواخر السبعينيات من العمر، لمعاملة قاسية، وأخضع لظروف مزرية من انعدام الرعاية الصحية وظروف احتجاز مع 35 من الأسرى حشروا في خيمة مهلهلة ممزقة نصبت في العراء بدون افرشة، في اجواء البرد والمطر وشحة الغذاء. وبعد تدهور صحته أطلقت قوات الاحتلال سراحه وبدأ في مراجعة المشافي في الأردن ولبنان والمانيا ثم في دولة قطر، التي استضافته واستقر فيها منذ اوائل عام 2005.

وقد رفض حمادي جميع الإغراءات التي عرضت عليه للإشتراك في العملية السياسية الحالية في عراق الإحتلال بعد اطلاق سراحه، ورفض على وجه الخصوص المشاركة في مؤتمر الوفاق والحوار الوطني العراقي الذي انعقد في القاهرة أواخر 2005 بإشراف جامعة الدول العربية.

وكان حمادي طلب الإقامة في الأردن لدى افراج سلطات الإحتلال الأميركي عنه في 15 تشرين أول/اكتوبر 2004، لكنه فضل بعد ذلك نقل مقر اقامته إلى قطر جراء حياة العزلة التي فرضت عليه في العاصمة الأردنية، إذ منح اقامة لمدة ثلاثة أشهر كانت تجدد لفترات مماثلة، حيث حظر عليه ممارسة أي نشاط سياسي أو لقاء أي من المسؤولين السابقين في العراق أو في حزب البعث العربي الاشتراكي، كما حظر عليه مقابلة سياسيين اردنيين، أو الادلاء بأية تصريحات صحافية .بل إنه كان لا يرد على الهاتف اذا ما حاول أحد الإتصال به.

وهكذا كتب اللّٰه لابن كربلاء، أن يموت في دنيا الإغتراب، كما بدأ حياته مناضلا من أجل وطنه في دنيا الإغتراب..حيث وافته منيته في المانيا صباح أمس الخميس عن عمر يتراوح حول السابعة والسبعين عاما.

رحيل عملاق من عمالقة الفكر القومي العربي

نصري حسين كساب

في كربلاء العراق حاضرة الخلود، حاضرة الحواضر والحضارات، ولد المفكر الأنسان سعدون حمادي.

عيناه مغمضتان نصف أغماضة.. الأطباء الألمان حوله يرقبون ما أدهشهم فيه من جبروت المقاومة – رغم تسعة وسبعين يحملها على منكبيه، حافلة بما يندر أن تحفل به حياة رجل رغم شدة المرض..أفتقد غياب المغربين من الاهل والاصدقاء والرفاق الذين لألامه يتألمون بسبب الغزو والاحتلال.

لكنه في شبه غيبوبة – وما غاب قط عن وعيه حتى اللحظة الاخيرة – لايرقب ما يرقبه الاطباء، ولا يحفل بما من أجله يتألمون..أنه يستعرض الشريط الطويل، الطويل، من ذكريات حياته، تعرضه عليه الذاكرة، عرضا كاملا، في مراجعة أخيرة..

في بدايات شبابه كان الفتى النابغ في وطنه لا يرى الا ما ينم على القهر، وما يشير الى الفقر، وما يضرب مثلا في الأعتساف، ولكن نفسه الشاعرة كانت تسمع همسات الأسى وهمهمات التذمر، ودبيب الأماني..أماني في الخلاص ! ثم تلمح بوارق البعث العربي الأشتراكي، فتموج بالمطامح القومية فبادر الى دمشق قلب العروبة النابض ينشد معرفة الأفكار والرؤى القومية العربية والتي ثبت على حبها.

المفكر العربي الأنسان سعدون حمادي أسس لأول حلقة بعثية في كربلاء – العراق . وأخذ يظاهر الحركات الوطنية التحررية، وجهر بالوحدة والحرية والأشتراكية وهي جذوة تحرق كف لا مسيها، وبكلمة الوطن قوية، والهمس بها – خل الجهر – يكلف السجن والتشريد، وراح المفكر الأنسان الوطني ينافح عن وحدة الوطن ويقارع دعاة التجزئة في غير هوادة، ووليا حميما لهامات الوطنية من زعمائها، يجلي في العسر والمغرم، ورواء الوطنية وحده اليسر والمغنم. وأمتدت دعوته الى الوحدة العربية، وهو الذي وقف سنة 1959 ليقول : (ان العراق الذي ينوء بألف جرح وجرح من الحراب فلا يئن ولا يشكو بل يزداد عنفا وكبرياء.(

طاردته السلطات فقطع البيداء لائذا الى ليبيا وهناك عمل استاذا جامعيا، والتف حوله الأدباء وحملة الفكر القومي العربي من أحرار ليبيا، مما أغضب سلطات الملك السنوسي أنذاك وزجته في السجن بتهمة العمل على قلب النظام وأمض 7 سنوات في الأعتقال. وهكذا الأحداث الطارئة شردته وصفوة من أخوانه ورفاقه بيت بيروت ودمشق وليبيا وبغداد.

عرفت المفكر العربي الأنسان ذو الثقافة والأصالة فاعلا في الحركات الوطنية، في سبيل أمته وقضاياها التحررية وكان يقفز في دراسته وكذلك راح يقفز في عمله، فكان استاذا جامعيا ثم يصبح وزيرا للأصلاح الزراعي، فرئيسا لشركة النفط الوطنية ليسهم في استثمار الثروة وطنيا وبعيدا عن الاحتكارات الرأسمالية، فوزير للنفط، ومن ثم وزير للخارجية ومنها رئيسا للوزراء، ليعود رئيسا للبرلمان تؤهله ثقافة عالية وتربية رفيعة وذكاء حاد. وعندما كان يبتعد عن الحكم، والمناصب السياسية، كان يتفرغ لقضايا الفكر و للشؤون الأقتصادية (وهو الذي تخصص في الاقتصاد الزراعي) ورغم ان الحكم في مفهوم سعدون حمادي رسالة، فأنه ما كان يتكالب عليه..كان معتدا بنفسه، قويا في شخصيته، حريصا على كرامته، صلبا في مواقفه، متمسكا بما يعتقد أنه حق، لا يتهاون في ذلك ولا يداهن، لا يداري ولا يواري لا يستسلم ولا يحني رأسه مهما اشتدت العاصفة، ولكن شعرة معاوية قلما انقطعت بينه وبين احد، وهو الدبلوماسي اللبق، والسياسي العريق، ورجل الدولة الفذ. وعندما كانت قيادات البعث العربي الاشتراكي تمور بالصراعات والخلافات في سورية والعراق، ويركب العسكر رؤوسهم، كان سعدون حمادي يقوم بدور رسول السلام، لتقريب وجهات النظر، بحكم مكانته المرموقة، وصداقته للجميع.

فكانت الفاجعة، وأقتحم المثلث الأمريكي الصهيوني الفارسي بغداد غزاة عتاة، فأعتقلوه في سجن رأى فيه كيف تستباح ارواح، وكيف يصلب رفاق مناضلون ومجاهدون، ومكث في معتقل امريكي فاقد لأبسط الخدمات الأنسانية 9 أشهر. ولما أطلق سراحه رأيته في عمان و كان التنكيل به قد أحتفر في خواطره أخاديد من الذكريات الراعبة.

ولد المفكر المناضل الأنسان سعدون حمادي وطنيا وعاش مفكرا قوميا عربيا ومات مناضلا من أجل وطنه وأمته في مشفى ألماني يوم 2007/3/15 . وستظل حياة وتاريخ المفكر الأنسان سعدون حمادي نبراسا لأجيال الأمة العربية جمعاء. رحمه الله واسكنه فسيح جنانه.

